البيت العربي بدرنـة

طراز عمارتـــــه وتأريخـــــه

إعـــــداد

د. محمد محمود على الجهيني

أستاذ الآثـار الإسلاميـة المساعـد

كلية الآداب بقنـــا ـ جامعة جنوب الوادي

٢٠٠٤م

مدينة درنة من المدن الليبية التي تقع على الشريط الساحلي على خط طول ٣٢,٤٥ ، وخط عرض ٢٢,٤٠ ؛ يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ، ومن الجنوب سلسلة من تلال الجبل الأخضر ؛ ويشطر المدينة مجري الوادي إلى شطرين ؛ وهو الذي يعرف باسم وادي درنة.[١] ذات المناخ الجميل المعتدل ، والموقع المتميز الذي تأتيه المياه العذبة من نبعين غزيرين الأول يعُرف باسم "عين البلاد" ؛ والثاني يعُرف باسم" عين بو منصور "[٢] وبذلك فإن السمات التي يجب توافرها في موقع تخطيط المدينة الإسلامية[٣] تكون قد توافرت في درنة من حيث الحماية الطبيعية ، والجو المعتدل وتوفر مصدر المياه ، وصلاحية أرضها للزراعة وكذلك موقعها الساحلي على المتوسط مما سهل عمليات الوصول إليها ، وبالتالي أصبحت مرفأ تجارياً هاماً ، ومعبر الثقافات دول حوض البحر الأبيض المتوسط وقد تم تشييد المدينة وإحاطتها بسور تخترقه البوابات[٤] التي تفضي إلي داخلها والذي انقسم إلى شطرين بواسطة وادي درنة ؛ ثم توزعت الأحياء السكنية على جانبي

---

(١) عبد العزيز شرف طريح : جغرافية ليبيا ، مركز الإسكندرية للكتاب . الطبعة الثانية ١٩٩٧م ، ص٢٣٢.

(٢) بو منصور : هو الصحابي الفارسي "بو منصور " الذي رافق زهير بن قيس البلوى في حملته على أفريقية وأستشهد في درنة ودفن في موقع شرق الوادي الآن عُرف بجبانة الصحابة وأخذ الحي الذي يتاخم الجبانة اسم هذا الصحابي وعُرف باسم حي بو منصور : انظر :صالح مصطفي المزيني : ليبيا منذ الفتح العربي وحتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر. منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي، ١٩٩٤، ص٥٥ .

(٣) للاستنادة عن ذلك أنظر : محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية . سلسلة عالم المعرفة العدد ١٢٨ سنة ١٩٨٨ ص٩٦،١٠٤.

(٤) تبقي من أسماء بوابات مدينة درنة "بوابة" في السور الشمالي عُرفت باسم "باب طبرق" لأنه في اتجاه هذه المدينة ، والمسمي قد أطلق على الحي الذي توزعت حدوده في هذه الجهة ؛ وفقدت البوابة وبقي اسمها وظاهرة أحاطت المدن بأسوار هي من الظواهر القديمة في الإسلام لتأمين المدينة ، فلقد وجدناها في بغداد ، وفي قرطبة بالأندلس ، المهدية ، والقاهرة ، والخالصة بصقلية . وغيرها . للمزيد .
أنظر:- محمد عبد الستار عثمان : المرجع السابق ص١٤٠،١٤٤.

الوادي ؛ والتي بلغت سبعة أحياء منها خمسة أحياء هي التي ضمتها أسوار المدينة وهي حي البلاد ، وبو منصور ، والمغار ، وباب طبرق. وحي الجبلية أما حي شيحا ، والساحل الشرقي فهي من الأحياء التي أنشئت خارج أسوارها .

وقد ضمت أحياء المدينة القديمة مجموعة من المنشآت المعمارية منها ما هو ديني مثل المساجد ، والزوايا ، والأضرحة ومنها ما هو مدني مثل المنازل ، والوكالات ، والأسواق . وقد تناولت في بحثين سابقين مساجد المدينة[1] وما تميزت به من مفردات معمارية .

وفي هذا البحث أتناول من العمائر المدينة "البيت العربي بدرنة" - كما يُطلق عليه - للوقوف على طراز عمارته ، ومحاولة تأريخه رغم ما أصاب هذه البيوت من إهمال ، واندثار الكثير من زخارفها وعناصرها المعمارية ؛ وهدم عدد كبير منها لتحل في مواضعها المباني الحديثة ؛ الأمر الذي ينذر بقرب أندثارها ، فقمت بزيارات ميدانية متتالية لتلك البيوت في محاولة لرسم صورة لعمارتها وسماتها الفنية قبل أن يطويها سجل النسيان ؛ وفي سبيل ذلك عكفت على رفع نماذج منها - بعد تصنيفها - رفعاً معمارياً مع تدعيم ذلك بالصور الفوتوغرافية للأجزاء التي لازالت بحالتها الأصلية ، وكذلك تلك التي امتدت إليها يد التغيير والتبديل دون المساس بجوهر التخطيط ؛ مع المقارنة بين تلك النماذج وغيرها في ديار الإسلام لمعرفة المحلى من الوافد في عناصرها معتمداً على النصوص التاريخية الواردة في المراجع التاريخية التي تؤرخ لليبيا ، والتي يتأكد بها سببية وجود العناصر المعمارية المميزة للبيت العربي بدرنة ، وبالتالي تأريخه بعد تطريزه ؛ ونسبة هذا الطراز المعماري إلى

---

(1) تناولت في البحث الأول "مساجد درنة وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ؛ كتاب الملتقي الثاني لجمعية الآثاريين العرب. الندوة العلمية الأولى ١٩٩٩م ص٦٣٩ - ٦٨٧ .
وفي البحث الثاني تناولت : جامع رشيد باشا بدرنة . العمارة وأصول التخطيط مجلة كلية الآداب بسوهاج . العدد الثالث والعشرون .الجزء الأول ،مارس ٢٠٠٠م ص ص ١٣٣ - ١٩١.

موطنه فلقد توزع بناء البيوت ذات الطراز العربي في داخل المدينة القديمة في حي البلاد - والمغار - والجبيلة - وبو منصور ؛ وقد شيدت بمواد من البيئة المحيطة ، مثل الحجر الجيري المهذب ، وسقفت تسقيفاً غشيماً ، ونقياً ؛ وأغلقت على فتحات مداخلها مصاريع خشبية خالية من الزخارف اللهم إلا "المطارق" التي صنعت من الحديد بهيئة الورقة النباتية الثلاثية ، وتم تثبيتها في أعلى الأبواب (لوحة ١) ؛ وفتحت في جدرانها الداخلية والخارجية نوافذ معقودة بعقود حدودية ، ونصف دائرية ، ومستقيمة .

وقد شيدت تلك البيوت وفق طرازين :-

الطراز الأول : وفيه يتكون مخطط البيت من صحن أوسط مكشوف محاط بعدد من الغرف ووحدات الخدمة؛ دون أن يكون لهذا الطراز طابق ثان . ويمثله عدة نماذج منها "منزل بو جميلة بالمدينة القديمة بحي البلاد" "ومنزل فرج النخلي ، ومنزل عقيلة بو خشيم ، ومنزل عقيلة بدر بشارع البحر بحي بو منصور ؛ ومنزل خليل ومصطفي التاجورى[1] بذات الحي والشارع ، ومنزل الحاج صالح الشيخ بشارع الأسطي عمر وجميعها قد تحققت بها ذات السمات المميزة للبيت العربي سالفة الذكر ونظراً لتقارب الشبه بين تلك النماذج فأنني سوف أذكر وصفاً معمارياً لإحداها مع المقارنة بالنماذج الأخرى .

الوصف المعماري لنموذج من الطراز الأول :

بيت بو جميلة :شكل (١) ، لوحة ١-١١

*الموقع :*يقع بيت بو جميلة في الزقاق المعروف بزقاق "لعيرج" بحي البلاد بالمدينة القديمة ؛ وهو زقاق "لاطم" أى غير نافذ لا تقام به أية

(١) نسبة إلى تاجوراء بإحدى المدن الليبية الواقعة إلى الشرق من طرابلس على مسافة ١٨كم على شاطئ البحر تحيط بها واحة خصبة ، كانت ملجأ للطرابلسيين أثناء الحكم الأسباني سنة ١٥١٠م . أنظر : كوستانز يوبرنيل : طرابلس منذ ١٥١٠-١٨٥٠، ترجمة خليفة التليسي ، الدار الجماهيرية للنشر ١٩٨٥ ص٣٦ .

أنشطة تجارية ، وغالباً ما تكون جميع بيوت هذا الزقاق لعائلة واحدة ؛ وهي عائلة " لعيرج " .

الوصف المعماري : (انظر شكل ١)

جاء تخطيط هذا البيت مستطيل الأبعاد ٢٢,٨٠ × ١١,٥٠م له جدران مبنية بالحجر الجيري المهذب "المنحوت" يقع المدخل المؤدي إلى داخله في أقصي الطرف الشمالي للواجهة يتوسط البيت فناؤه وهو كشف سماوي تحيط به وحدات معمارية .

المدخل :

يقع المدخل في أقصي الطرف الشمالي للواجهة ، وهو مدخل مستطيل الأبعاد معقود بعقد حدوى متجاوز يغلق عليه مصراعان من الخشب لوحة (١) ثبتت بهما "السماعة" المصنوعة من الحديد على هيئة ورقة نباتية ثلاثية يؤدي المدخل إلى مساحة مربعة يُطلق عليها في المصطلح الدارج أسم "سقيفة" ينزل إليها بعدة درجات يقع على يسار الداخل إليها حجرة مستطيلة الأبعاد يؤدي إليها مدخل مستطيل الأبعاد معقود بعقد مستقيم يغلق عليه باب خشبي حديث (لوحة ٢) يؤدي إلى داخل الحجرة التي يُطلق عليها اسم "المربوعة" أو "المضافة" ؛ تخصص لاستقبال الضيوف . وقد سقفت بسقف غشيم (لوحة ٣) مأخوذ من شجرة الشعرة وهو العود ؛ حيث رصت أعواده إلى جوار بعضها البعض ثم غطت من أعلاها بطبقة من الطين أو من الطين والجير حتى يتم التحام هذه الأعواد إلى جوار بعضها ، وغالباً ما يجلد السقف أسفل ذلك بألواح من الخشب الرقيق ؛ وهذه الحجرة في نهايتها جزء خصص للنوم عرف باسم " البغلة " يتصل بهذه المربوعة في المواجهة دورة مياه مستطيلة الأبعاد يجاورها سلم هابط من إحدى عشر درجة يؤدي إلى المربط الذي خصص لربط الدواب وحفظها داخله بعد عودتها ، وقد يكون الدرج خشبي اوعبارة عن نزلة طينية(زلاقة)، نصل عبر هذه السقيفة التى تأخذ هيئة المدخل المنكسر، إلى صحن أوسط مكشوف تحيط به حجرتان مستطيلتان خصصتا للمعيشة والنوم ؛ ومطبخ أمامه

بئر ماء يقعا خلف المربوعة التي " علقت " وارتفعت عن بقية وحـــدات الدار كي يمكن تخليق مساحة المربط أسفلها ليكون منعزلاً عـــن بقيـــة وحدات الدار . وبذلك يكون المعمار قد فصل المربوعة عن بقية وحـدات الدار التي يتمتع فيها النساء بحرية تامة أثناء تأدية أعمالهن المنزليـــة بعيداً عن الضيوف المتواجدون في حجرة المربوعة .

الغرفـــة الأولى : (لوحة ٦ ، ٧)

تقع على يمين الداخل إلى الصحن الأوسط المكشوف ، وهي تشرف على الصحن بواجهة طويلة يتوسطها المدخل المؤدي إليها ، وهو مدخل معقود بعقد حدوى متجاوز يعلوه فتحة صغـيرة للتهويـــة تســمي فـــي الاصطلاح الدارج فتحة القطوس على يمين ويسار هذا المدخـــل الـــذي يغلق عليه مصراعان من الخشب غفل من الزخرفـــة ، توجـد نافذتـــان مربعتان عليهما مصبعات من الحديد ، أضيفت حديثاً عوضاً عن السواتر الجصية ، أو الحجرية التي كانت تفرغ بزخارف هندسية ونباتية لتـأمين تلك الفتحات ؛ حيث أن تلك الفتحات في منـــازل تونـــس ، والأندلـــس ، كانت تغشى بمثل هذه السواتر .

وتتسم هذه الفتحات بارتفاعها عن أرضية الصحن مع وجود بقايـــا إطار من الجص يلتف حول حدودها ؛ خال من الزخرفة ، والذى لاشـــك أنه كان يتضمن زخارف هندسية ونباتية بذات الأسلوب المتبع في منازل تونس ، والأندلس . كذلك فإن هذه الغرفة تتضمن نافذة أخرى تطل علـى المدخل المنكسر ذات أبعاد أكبر وارتفاع أعلـــى بحيـــث يتحقـــق منـــها الإضاءة والتهوية معاً دون أن تسمح للداخل إلى البيت مـــن رؤيـــة أو سماع الموجود بها وهذه الغرفة تضم في مؤخرتها " خزانـــة نوميـــه " تعرف في الاصطلاح الدارج باسم "الســدة" ترتفع عن أرضية الغرفة .

كذلك فقد ضمت هذه الغرفة خزانة حائطية وظفها المعمار بعد وضع باب خشبي عليها لتكون خزانة أو "دولاب حائطي" لحفظ متعلقات أهـــل الدار من ملابس وأشياء أخرى ، وقد سقفت هذه الحجرة بذات الســـقف الغشيم الذي يعتمد على أعواد نبات شجرة الشعرة والمجلد حديثاً أســفله

بألواح الخشب المدهون بالدهان الزيتي الأخضر،حيث تحكمت أطوال هذا النبات التي تراوحت بين ثلاثة أو أربعة أمتار في عرض هذه الحجرة.

الغرفة الثانية : لوحة (٧)

تجاور هذه الغرفة الغرفة الأولى ، وهي تشتمل على مدخل يلاصق نهاية جدار الغرفة الأولى وهو أيضاً مدخل معقود بعقد حدوى يعلوه فتحة صغيرة للتهوية والإضاءة تسمي في الاصطلاح الدارج "فتحة القطوس" يغطي العقد إطار من الجص المدهون حديثاً بعدما فقد ما عليه من زخارف أو بلاطات خزفية ؛ نصل من المدخل إلى مساحة الغرفة التي تتشابه مع الغرفة السابقة غير أنها لا تشتمل على الخزانة الحائطية ، والغرفة تشرف على الصحن بنافذة واحدة مماثلة للنوافذ سالفة الذكر ؛ يلاصق المطبخ الذي يقع خلف المربوعة بئر ماء يصل عمقه إلى خمسة عشر متراً وهو مبني من الحجر الجيري المحلي وقد تم حفره لإمداد البيت وأهله باحتياجاتهم من المياه ؛ حيث شيدت للبئر جدران من جانبين عليهما "عقد موتور" علق فيه الدلو الذي تؤخذ به المياه من البئر ؛ يلاصق فوهة البئر حوض مبني من الحجر الجيري ؛ مرتفع عن أرضية الصحن ، خصص لحفظ المياه المستخرجة والزائدة عن الحاجة (لوحة٨ــ٩) .

يجاور البئر شجرة عنب لتظليل مساحة الصحن التي تضفي جوا من السكينة والهدوء داخل البيت الدرناوي .

٢- الطراز الثاني : شكل ٢ــ٥

وهو يتكون من طابق أرضي ودور علوي ، يحيط بالطابق الأرضي حول صحن أوسط مكشوف مجموعة من الحجرات والوحدات الخدمية ؛ ثم حجرة "المربوعة" التي تلي باب الدخول ؛ ويتقدم وحدات الصحن بائكة معقودة تشرف عليه ، وتحمل الممر الذي يتقدم الطابق الثاني ، والمعروفة باسم "المساتريح" ويُمثل هذا الطراز مجموعة من المنازل هي منزل الحاج "أحمد التاجوري". ومنزل عبد الكريم جبريل ومنزل

"بالحولة" بالمدينة القديمة بحي البلاد ومنزل سرقيوه، وقاطش بحي المغار بجوار جامع رشيد باشا[1] .

وجميع هذه النماذج التي تتبع هذا الطراز تتشابه في التخطيط العام إلا أنها تختلف من حيث المساحة وأماكن وحداتها المعمارية ؛ والعناصر المعمارية ؛ وأماكنها ؛ وعددها والمتدليل على التكوين المعماري لها تتناول وأحداً من تلك البيوت بالوصف والتحليل.

منزل الحاج أحمد التاجوري : (انظر شكل٢ــ٥) .

يقع هذا المنزل بشارع الوشيش خلف الجامع العتيق[2] له واجهة جنوبية غربية من الحجر الجيري المهذب فتح بها مدخلان يؤديان إلى مكوناته المعمارية؛ وقد أعيد تجديده زمن الاحتلال الإيطالي لليبيا (١٩١١م) .

يمتاز المنزل بكبر مساحته ورقي مفرداته المعمارية والزخرفية التي تبقي منها أجزاء لازالت تصارع الزمن.

الوصف المعماري : (شكل٢ــ٥، لوحة١٢ــ٢٠)

للمنزل واجهة جنوبية غربية فتح بها المعمار مدخلان متجاوران بعقود نصف دائرية، أحدهما كبير . والآخر أصغر حجماً ؛ خصص الأول لدخول الضيوف الغرباء والثاني لأفراد الأسرة خاصة النساء .

يتكون المدخل الأول من عقد نصف دائري يتوج فتحة باب مستطيلة الأبعاد غشي باطن العقد ساتر حديدي ؛ يعود إلى فترة تجديد المنزل في العهد الإيطالي يؤدي هذا المدخل إلى مساحة مربعة "السقيفة" يتصل بها مدخل منكسر يفضي إلى صحن المنزل يقع في مواجهة المدخل "قاعة المربوعة" أو المضافة التي يؤدي إليها باب على يمينه ويساره نافذتان وهي هنا عكس وضع المربوعة في الطراز السابق حيث

---

(1) عن موقع هذا الجامع ومكوناته المعمارية وأصل تخطيطه أنظر:- محمد الجهيني : جامع رشيد باشا بدرنة – العمارة وأصول التخطيط . مجلة كلية الآداب بسوهاج . العدد الثالث والعشرين . الجزء الأول . مارس ٢٠٠٠م ص ص ١٣٣-١٩١ .

(2) انظر : محمد الجهيني : مساجد درنة وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ، ص٦٣٩-٦٨٧ .

أنها كانت تقع على يسار الداخل إلى المنزل غير أنها تواجه المدخل في هذا الطراز مع وجود نوافذ للتهوية والإضاءة تطل على المدخل في حين أن ذلك لم يتوفر في الطراز السابق وذلك لكون المربوعة تطل على الشارع أو الزقاق في حين أن وضع المربوعة في الطراز الثاني داخلي لا يطل إلا على المدخل المنكسر المتصل بالسقيفة ، مما أدى إلى فتح النوافذ على يمين ويسار المدخل الخاص بها، يجاور المربوعة "بيت خلاء" يقع على يسار الداخل إلى المنزل ينعطف الداخل يساراً فيجد مدخل ثان معقود بعقد حدوى عليه مصراعان من الخشب يؤدي إلى الصحن الأوسط المكشوف ، وبذلك نجد أن المعمار قد وجد هذا المدخل الوسطي للفصل بين الجزء الأول من المنزل والذي يرتاده الضيوف مع رب المنزل ، ويبين الجزء الثاني المشتمل على وحدات الإعاشة والخدمة ، والذي يبقي النساء به دوماً لتادية أعمالهن المنزلية .

يحيط بالصحن بائكة معقودة من ثلاث جهات تتقدم وحدات الإعاشة والنوم ، التي يبلغ عددها ثلاث غرف ذات مساحات متباينة لها نوافذ تطل على الصحن ؛ حجرتان بنافذة واحدة وحجرة واحدة لها نافذتان .

على يسار الداخل إلى الصحن يوجد قبو يؤدي إلى مخزن خاص بالمنزل يجاوره بئر ماء يجاور البئر سلم أسفله مخزن ومرحاض صغير يصعد من السلم إلى المطبخ عبر عشر درجات ؛ ويسقف كامل هذه الوحدات المخصصة للإعاشة أسقف نقية مدهونة حريرياً بزخارف نباتية وهندسية في حين سقفت باقي الوحدات مثل المطبخ وبيت الخلاء ، والمخزن ، بأسقف غشيمة من الغاب المأخوذ من نبات " الشعرة " .

المدخل الثاني : لوحة ١٢ــ١٣

يجاور المدخل الكبير ، وهو أيضاً معقود بعقد نصف دائري يشغل باطنه ساتر من الحديد ؛ وهو من تجديدات فترة الاحتلال الإيطالي.

يؤدي هذا المدخل إلى سلم يؤدي إلى الطابق العلوي للمنزل الذي يتقدمه رواق ببائكة معقودة تسمي " المساتريح " (لوحة ١٦) تشرف على الصحن خلفها حجرات النوم ويتصل هذا الجزء من المنزل بالجزء الأول عبر مدخل ثان داخلي يربط بين الجزأين حيث يقع على يمين

الداخل من هذا المدخل باب ثان يؤدي إلى السقيفة التي تتقدم المدخل الكبير والمتصل بها المدخل المنكسر الذي ينتهي بالباب الوسطي الذي يفصل المربوعة عن الصحن ووحداته المعمارية الداخلية .

والملاحظ أن " المساتريح " قد تكون من خلال ممر خشبي محمول على براطيم خشبية تحصر بينها أعواد الغاب التي تكون الممر الذي يتقدم الحجرات العلوية . ويبدو أن هذا المنزل قد فقد البائكة المعقودة التي تتقدم حجرات الطابق الأرضي لكن وجود الطابق العلوي و"المساتريح" الذي يتقدم حجراته يشير إلى وجود هذا الرواق مثلما وجدناه في منزل عبد الكريم جبريل بالمدينة القديمة بحي البلاد (شكل ٦) ، ومنزل "بالحولة". أما منزل سرقيوه بحي المغار ، فللصحن بائكة من جهتين تطل على الصحن ، ولمنزل قاطش ، بذات الحي فللصحن رواق واحد يتقدم جهة واحدة من جهاته التي تقع خلفها وحدات الإعاشة ؛ مما يشير إلى أن هذا الطراز المعماري قد تحكم في إخراجه المساحة المتاحة للبناء ، والإمكانيات الاقتصادية لصاحب المنزل . مما يشير إلى أن منزل التاجوري سالف الذكر كان لصاحبه مكانته الاقتصادية حيث انعكس ذلك على عمارة المنزل ، على الرغم من الحالة السيئة للمنزل ؛ حيث فقد الكثير من معالمه الفنية والمعمارية . غير أن ما بقي من أسقفه وما حوته من زخارف يشير إلى مدى ما كانت عليه عمارة المنزل من بهاء ورقي ؛ كذلك فقد كان الصحن وهو العنصر الرئيسي في تلك الدور ؛ بمثابة العنصر الذي تتجمع حوله العناصر الخدميه والمعيشية عكس ما نراه في بعض منازل تونس ، والمغرب ، والقاهرة في العصر العثماني حيث وجدت بها عدة صحون وهو ما سوف نراه في الدراسة التحليلية .

وقبل تناول مفردات هذه البيوت بالتحليل يجب أن نشير إلى أن هذا التخطيط الذي يعتمد على صحن أوسط مكشوف محاط بالوحدات المعمارية المختلفة سواء أكانت معيشية أو خدمية قد صار يُعرف في الاصطلاح الدارج باسم "البيت العربي" : تميزاً لها عن البيوت المشيدة حديثاً والمكونة من عدة طوابق كل طابق يضم عدة وحدات سكنية ؛

تعرف باسم "الشقة" عند أهل المشرق ، وفي المجتمع الليبي تعرف باسم "الحوش" ؛ ويجدر بنا الإشارة إلى أن اصطلاح "العربي" التي لازمت كلمة "البيت" ، ما هي إلا كلمة حاول بها المستشرقون إنكار فضل الإسلام والمسلمين في هذه العمائر ؛ على الرغم من أن جميع مفرداتها تنطق بأنها من وحي التعاليم الإسلامية[1].

وإذا كان مصطلح "البيت" قد عرف في مدن الجماهيرية المختلفة فإن مصطلح "الدار" قد تم تداوله في بلاد المغرب في النقوش الكتابية ، كما عُرف باسم "الدار" أو "القصر" أو "المسكن" في النصوص التاريخية[2] مما نستنتج معه إن اصطلاح "البيت" هو الذي عُرف في بلاد المغرب الأدنى إضافة إلى الاصطلاحات الأخرى مثل "المنزل" أو "الحوش" ولكي تتضح مزايا البيوت العربية بدرنة ؛ ومدى مساهمات المعمار الليبي في تعميرها ؛ أشير أولاً إلى العوامل التي أثرت في تشييدها ، ثم المفردات التي تتكون منها تلك الدور والتأثيرات الفنية الواقعة عليها ؛ وأسباب ظهورها ؛ حتى تستطيع تأريخها .

أولاً : العوامل المؤثرة في البناء

١- العامل الجغرافي :

أثر موقع مدينة درنة على ساحل المتوسط على العمارة التي شيدت داخلها ؛ خاصة عمارة "البيت" حيث وجدنا أن كلا الطرازين سالفي الذكر قد اشتملا على صحن أوسط مكشوف ووجود هذا العنصر قد وفر الأمن والسلامة لأهل "البيت" من العواصف الرملية ، كما أنه يضمن الاحتفاظ بدرجة حرارة ملائمة داخله حيث أنه يحتفظ بحرارة الكتلة الهوائية داخله في ساعات النهار المشمسة ، ويبقي الهواء البارد في الطبقات السفلي في الصحن لزيادة كثافته ويقل وزنه عن الهواء

(١) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية . دار النهضة العربية ١٩٩٠،ص

(٢) عبد العزيز العرج : المسكن المغربي الإسلامي في العصرين المزيني والزياني من خلال النصوص التاريخية والشواهد الأثرية ؛ دراسات في آثار الوطن العربي كتاب المؤتمر الرابع . الندوة الثالثة ، القاهرة ٢٠٠١م ، ص٨٣٩-٨٥٨ .

الساخن الذي تخف كثافته ويبقي أعلى الصحن[1] . ونظراً للحماية التي تتوفر للمبني من جميع الجهات فإن الحرارة الخارجية لا تؤثر على كتلة الهواء البارد داخل الصحن ، وبذلك يتم الاحتفاظ بالهواء في درجة حرارة معتدلة طيلة فترة الصباح والمساء في أيام الصيف[2] .

٢- العامل الاجتماعي :

تطرق الوصف المعماري للنماذج الواردة في هذا البحث إلى اشتمالها على مداخل بالواجهة الرئيسية تؤدي إلى داخلها ؛ وقد روعي في فتحها مبدأ الخصوصية حيث يصل الضيف من خلالها إلى "المربوعة" التي تلي باب الدخول مباشرة ؛ وهي منعزلة عن بقية وحدات البيت ؛ مما ييسر لأهل البيت حرية الحركة داخله وهذا ما نلحظه في نماذج الطراز الأول والذي اشتمل على مدخل وحيد بالواجهة ، أما في نماذج الطراز الثاني ، فقد فتح المعمار بالواجهة مدخلان خصص أحدهما لنساء الدار حيث يؤدي مباشرة إلى الدور العلوي الذي تسكنه النساء مع ربط هذا المدخل بالمدخل الأول بواسطة باب على يمين الداخل . ليسهل على النساء تأدية أعمالهن المنزلية إذا ما انتهي واجب الضيافة للمقيمين "بالمربوعة"[3] الأمر الذي يفسر حرص المعمار على التقاليد التي دعى إليها الإسلام من حيث حجاب المرأة ، وأيضاً إكرام الضيف .

٣- العامل الاقتصادي :

تلاحظ لنا أن الحالة التي آلت إليها بيوت درنة قد بلغت من التروي بحيث لا تستطيع أن تحكم على أسلوبها الفني ؛ لضياع معظم

---

(١) حسام عبد السلام باش إمام : مواد البناء والأنظمة الأنشائية في المباني التقليدية .

(٢) httpwww. Libyan heritages.com build // ing. materials html.P .٢

(٣) حسام باش إمام : المرجع السابق ص٢ .

(٣) محمد محمود محمدين : دور البيئة الجغرافية في صوغ أنماط العمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية . الدارة . العدد الثاني ، السنة ٢ ، ١٤١٧هـ ص١٦٤ .

النواحي الفنية إلا القليل ؛ الذي وضح في نماذج الطراز الثاني والذي يؤكد رغبة المنشئ في زخرفة وحدات بيته المختلفة ؛ والتالي توفر الأموال اللازمة لهذه الرغبة مما انعكس على الإخراج النهائي للعمارة التي كان عليها البيت : وهذا ما نلحظه في بيت التاجوري الذي بقي من عمارته مخططه وأسقفه التي نفذت نقياً مع زخرفتها بالألوان المختلفة وبالعناصر النباتية والهندسية ؛ مما يشير إلى أن بقية الوحدات قد كان تنفيذها متوائماً مع ما نشاهده من أسقف وعلى النقيض فإن نماذج الطراز الأول قد سقفت غشيماً بالمواد البيئية المتاحة ؛ الأمر الذي يُفسر إهمال الجانب الزخرفي والاكتفاء بالناحية الوظيفية وإذا كانت هذه العوامل الثلاثة قد ساعدت على تفهم طبيعة البيت العربي بدرنة ؛ فإن تحليل العناصر المعمارية التي ضمها يُشير إلى جانب آخر يمكن أن نستقيه من مشاهده تلك البيوت وما ضمته من مفردات ؛ والتي يمكن دراستها من خلال العناصر التالية :-

الواجهات – التخطيط (الصحن ــ وحدات الإعاشة والخدمة) – الأسقف – العن

أولاً : الواجهات امتازت واجهات تلك البيوت بأنها واجهات بسيطة لا تشتمل على الكثير من العناصر المعمارية ، وتخلو من العناصر الزخرفية وهي بذلك تتشابه مع المظهر الخارجي للدار الأندلسية ؛ حيث كان المظهر الخارجي للدار الأندلسية متواضعاً عاطلاً من الزخرفة يتناقض مع مظهره الداخلي الزاخر بالزخارف[1] وواجهات البيوت التي يشملها البحث تشتمل فقط على المدخل الرئيسي ، وبعض فتحات النوافذ موزعة أعلى عقد المدخل ، وفتحات قليلة بالقرب من نهايات الواجهة لإنارة حجرة "المربوعة" المخصصة للضيوف ، أما الحجرات الداخلية التي تخصص لأهل البيت ، تتفتح نوافذها على الصحن الأوسط .وقد كانت هذه النوافذ في بيوت الأندلس تبرز عن سمت الواجهة ، وتسمي شراجيب أو شماسات ؛ تغطيها شبكات من الخشب سواء كانت داخلية أو خارجية ، حتى يتاح للمرأة رؤية المارة دون أن يراها أحد من

(1) السيد عبد العزيز سالم : العمارة المدينة بالأندلس . دائرة معارف الشعب ، عدد ٦٤ مطابع الشعب ١٩٥٩م ، ص١٢١ .

الخارج[1] ؛ وقد احتفظت بعض بيوت درنة بمثل هذه المشبكات الخشبية مما يشير إلى التزام المعمار بذات التقاليد التي كانت عليها بيوت الأندلس .

المدخل :

امتازت مداخل بيوت درنة التي اشتملت عليها واجهاتها بأنها مداخل وسطية أو طرفية ، نفذت بهيئة مستطيلة الأبعاد يتوجها عقود نصف مستديرة أو عقود حدويه متجاوزة ؛ حيث شاع تنفيذها أيضاً أعلى فتحات المداخل إلى الحجرات الداخلية التي تفتح على الصحن الأوسط في نماذج الطراز الأول ، وهذه العقود تُمثل طراز العقود التي شاعت في الأندلس والمعروفة باسم "عقود طراز الخلافة الأموية"[2] شكل ٧). وقد نفذت بالأحجار الجيرية المهذبة بنسب هندسية دقيقة

وقد امتازت مداخل بيوت درنة بأنها غير عميقة ويُغلق عليها مصراعان من الخشب تشير بقاياها الزخرفية إلى أنها كانت مدهونة ، ومركب على كل مصراع سماعة من الحديد تأخذ هيئة الورقة النباتية وذلك في نماذج الطراز الأول الذي بقي منه هذا النموذج ؛ أما الطراز الثاني فقد فقدت مصاريعه بعد تجديده في فترة الاحتلال الإيطالي ، لكن بقيت أسقفه برهاناً يشير إلى مدى فخامة بيوت هذا الطراز (لوحات١٨-٢٠).

ولعل مصاريع الأبواب في الطراز الأول تتشابه مع مصاريع الأبواب المنفذة أيضاً من الخشب ، والباقية ببيوت مدينة طرابلس وكذلك عدد من عمائرها الدينية[3] وهي هنا منفذة زخرفياً بأسلوب الزخارف الجصية التي شاعت في تونس والمعروفة باسم "نقش حديدة"[4] ؛ تأثراً بالنماذج الأندلسية ، والمغربية ؛ الأمر الذي يُشير إلى اعتماد بيوت درنة على ذات التأثير الذي تأثر به معمار تونس في تنفيذ عناصر

(1) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص١٢٢ .
(2) حسين مؤنس : المساجد . عالم المعرفة عدد ٣٧ . ١٩٨١ ص٢٤٦،٢٤٨ .
(3) على مسعود البلوش : تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي . موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا . ج٢ ، سنة ، ص١٣ .
(4) المرجع نفسه ، ص٤٣ .

عمارته وزخارفها . وهو التأثير الأندلسي[1] ؛ والذي يتأكد أيضاً من شيوع عقد الخلافة الأموية بالأندلس الذي انتقل إليها بعد ظهوره في الجامع الأموي بدمشق وهو عقد "حدوة فرس" وُجد أعلى مداخل مساجد درنة في جامع الجرابة ، والمسطاري ، والزاوية[2] . مثلما شاع في العمارة الدينية والمدنية بطرابلس الغرب كما في جامع محمد باشا شائب العين ١١١٠هـ /١٦٩٨م ، وفي مدرسة عمورة بجنزور ومسجد مصطفي قرجي ١٢٥٠هـ /١٨٣٤م ، ومسجد أحمد باشا القرمانلي ١١٥١هـ / ١٧٣٨م وفي جل بيوت وقصور المدينة التي تعود للعصر العثماني.

وقد امتازت جميع هذه المداخل بأنها بلا "حجور" فهي تسامت الواجهة وفي ذات سُمكها ؛ وهذه الظاهرة تميزت بها العمارة الإسلامية في الكثير من البلدان الإسلامية في مرحلة صدر الإسلام ؛ وما تلاها ، حتى بدأت المداخل تبرز عن سمت الواجهة ، كما في أسوار مدينة المهدية[3] بتونس وأسوار القاهرة الفاطمية وجامع الحاكم بأمر الله في مصر [4] ، ثم شاع ذلك في عمائر العصر المملوكي في مصر والشام[5].

وقد أراد المعمار في ليبيا عامة ودرنة خاصة الاحتفاظ بهيئة المداخل ذات العقود المدببة التي تسامت الواجهة ، تأثراً بالعمارة الأندلسية ، كما في مداخل مسجد قرطبة ، وبعض مداخل قصر

---

(1) Hillenbrand (R); Islamic Architecture Form, Function, and meaning, Edinburgh University 1994 p. 444 .

(٢) محمد الجهيني : مساجد درنة الأثرية وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا . مؤتمر التواصل الحضاري بين أقطار العالم الإسلامي من خلال الشواهد الأثرية . الندوة الأولى .

(3) Bloom (j), the origins of fatimid art, Muqarnas, An Annual on Islamic Art and Architecture .Volume 3 , Leiden, 1985 , p. 22 : 23.

(٤) كريزول (ك . أ . س) العمارة الإسلامية في مصر . المجلد الأول (الاخشيديون والفاطميون ٩٣٩-١١٧١م) . ترجمة عبد الوهاب علوب ، زهراء الشرق ٢٠٠٤ ص٨١ ، لوحة ١٥ .

(٥) حسني نويصر : الاثار الاسلامية في مصر(عمائر الأيوبيين والمماليك) . القاهرة ١٩٩٦م .

الحمراء[1] المعروف باسم باب الشريعة[2] ، وفي مداخل مسجد طليطلة المعروف بأسم "الجامع المردوم"[3] ؛ حباً وعشقاً لهذا النوع من المدخل وكذا جميع مفردات العمارة والتي نفذت في الكثير من العمائر الإسلامية بليبيا.

ثانياً: التخطيط وعناصره :

أعتمد تخطيط البيت العربي بدرنة بطرازيه على الصحن الأوسط المكشوف الذي تحيط به وحدات الإعاشة والمنفعة العامة ؛ فضلاً عن وجود عنصر "المربط" أسفل حجرة "المربوعة" التي خصصت لاستقبال الضيوف كوحدة مستقلة عن بقية أجزاء البيت ، والتي غالباً ما كانت تلي باب الدخول ، وترتفع عن مستوى أرضية الصحن ووحداته لوجود "المربط" أسفلها الذي خصص لربط دواب الخدمة ؛ وفيما عرض لهذه العناصر التي تميز الطرازين ، فضلاً عن تميز الطراز الثاني بوجود طابق ثان خصص لإقامة النساء واستقبال الضيفات الوافدات ؛ وقد جعل الوصول إليه عبر مدخل مستقل بالواجهة ، وكذا من سلم داخلي بالصحن ، عبر المدخل المنكسر الذي يلي المدخل الرئيسي للبيت .

1- المربوعة :

حجرة مستطيلة الأبعاد تلي باب الدخول مباشرة سواء على يسار الداخل أو يمينه ، وترتفع عن أرضية المدخل المنكسر أو السقيفة وهي تقابل السلاملك التركي[4] ، وقد سقفت في الطراز الأول غشيماً بأعواد الغاب الذي تحكم في عرض هذه الحجرة حيث أن أطواله كانت تتراوح ما بين ٣ أو ٤م ؛ وفي الطراز الثاني سقفت وحدات البيت ومنها "المربوعة" بأسقف نقية مدهونة ؛ وقد تشتمل "المربوعة" على وحدة

---

(1) عبد العزيز الدولاتي . مسجد قرطبة وقصر الحمراء ؛ منشورات الدار العربية للكتاب بليبيا ، تونس ١٩٧٧م .

(2) عبد العاطي محمد الورفلي : أوراق أندلسية ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ١٩٩٠م ، ص٢٥ ، لوحة ٢٥ .

(3) المرجع السابق : لوحة ١٥ .

(4) بيترورومانيللي: منازل عربية قديمة بطرابلس . ترجمة فؤاد الكعباذى،مجلة آثار العرب . العدد الثاني . مصلحة الآثار الليبية . طرابلس ، مارس ١٩٩١ ، ص١٠.

صغيرة للنوم لها حاجز من الخشب عُرفت في "درنة" باسم "البغلة" لوحة (٤-٥) ؛ والحاجز باسم "السدة" وهي تقابل "الخزانة النومية" في منازل القاهرة العثمانية ؛ وقد لا تشتمل على هذه الوحدة ، وتكون الحجرة بأكملها للضيافة وللنوم معاً ؛ وتعد هذه الحجرة من العناصر التي وفرت قدراً من الخصوصية لأهل البيت بعيداً عن ضيوفه ؛ وقد شاعت هذه الحجرة في بيوت ليبيا الباقية بطرابلس من العهد العثماني[١] وقد أقتبسها المعمار من عمارة الدار الأندلسية ، التي كانت تزود بحجرة كبيرة بارزة تطل على الطريق ، تحملها مساند ، تسمي "الغرفة البرانية" وهي بطول واجهة البيت[٢] وكان الوصول إليها عبر المدخل الرئيسي للبيت والذي يؤدي إلى الصحن ، وإلى سلّم يُصعد منه إلى هذه الحجرة ، وبالتالي فقد فصل المعمار بين عناصر البيت الداخلية وبين هذه الحجرة ، لتحقيق ذات الغرض الذي أنشئت من أجله "المربوعة" ؛ الأمر الذي يُشير إلى التأثير الأندلسي في عمارة هذه الحجرة .

ب - الصحن :

وحدة معمارية لعبت دوراً هاماً في معظم العمائر الإسلامية منذ بداية ظهورها ؛ فهي قاسماً مشتركاً بينها؛ والصحن في تعريفه يُطلق على ذلك الفراغ الذي يتوسط البناء وتطل عليه عناصر البيت الأخرى ، وهو يُعد من العناصر الهامة في العمارة الدينية والمدنية على السواء ؛ فقد وجد فيها طيلة العصور ، رغم خلاف المؤثرات الاجتماعية ، والمناخية ، والدينية ، والثقافية[٣] . مما يدل على نجاحه كحل معماري لكافة النواحي الوظيفية ، والروحية ، والاجتماعية .

---

(١) صلاح البهنسي : طرابلس الغرب تاريخ وآثار . المنهل العدد ٥١٩ المجلد ٥٦، ١٩٩٤م ، ص٢٦١-٢٦٢ .

(٢) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص١٢٢ .

(٣) مجدي عبد العزيز : دراسة تحليلية لبعض الدور والقصور . رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة ١٩٧٤م ، ص١٠١ .

وقد اتخذ "الصحن الأوسط" في الدور الليبية عدة مسميات أهمها "الحوش" "الفناء" "البياصة" .

وكانت اللفظة الأولى تُطلق على "البيت بأكمله كوحدة للسكني على الرغم من أن "الحوش" هو العنصر الذي يتوسط البيت وتُحيط به وحدات الإعاشة والخدمة ؛ فصار الجزء يُطلق على الكل وذلك ربما للتدليل على أن البيت قد أتبع في تخطيطه التخطيط الإسلامي ؛ غير أن ذلك لم يختص فقط بتلك البيوت وإنما أطلقت اللفظة على جميع "البيوت" ذات التخطيط الإسلامي ، وكذا الحديثة التي تتكون من عدة طوابق يضم كل طابق عدة وحدات سكنية ؛ مما يشير إلى أن هذا الاصطلاح قدشمل جميع "الدور الليبية حديثة وقديمة سواء وجد بها "أفنية" أو لم يوجد" .

أما في بلاد المغرب ، فقد انتشر مصطلح "السكن" أو "الدار أو القصر"[1] للإشارة إلى مقر السكني ، وقد ضمت ضمن عناصر تخطيطها "الفناء" أو "الحوش" أو "الصحن المكشوف" والذي عُرف باسم "العرصة"[2] ؛ والصحن ، دون الحوش كما عرفت الساحات التي بين المنشآت في ليبيا باسم "البياصة" وهي لفظة إيطالية تداولها العامة عوضاً عن "الساحة" أو"الفسحة" وقد تميزت بيوت درنة باشتمالها على عنصر "الصحن الأوسط المكشوف" دون بقية العمائر الدينية"[3] ؛ رغم خضوع العمائر جميعها لذات الخصائص المناخية ؛ ولكن للبيت خصوصيته التي تميزه عن بقية العمائر ؛ فكان الصحن الذي تحيط به وحدات الإعاشة والخدمة ؛ تأثراً بالدار الأندلسية[4] .

وحدات الإعاشة والخدمة :

أحاطت بعنصر الصحن في كلا الطرازين ونماذجهما وحدات معمارية ذات مساحات مستطيلة ، خصصت في الغالب للإعاشة ؛ كما

---

(1) عبد العزيز العرج : المرجع السابق ص٨٣٩ .

(2) لفظة فارسية تعني "فناء المنزل" . انظر : عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية ، دار الكتاب اللبناني ط١، بيروت ١٩٨٢ ص٤٦١.

(3) انظر عن ذلك:محمد الجهيني:جامع رشيد باشا بدرنة .ص١٣٣-١٩١ ــ مساجد درنة وعناصرها ، ص٦٣٩-٦٨٧ .

(4) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص١٢٢ .

أشتمل الصحن كذلك على سُلم يُصعد من عليه إلى "مطبخ" أسفله بيت خلاء في الطراز الأول ، أو يُصعد من عليه إلى الطابق الثاني في الطراز الثاني والمخصص لإقامة النساء واستقبال ضيفات سيدته .

كما وأن الصحن قد أشتمل في كلا الطرازين إلى سُلم هابط يؤدي إلى "المربط" المخصص للدواب ؛ كما أشتمل على باب يربط بين المدخل الثاني المخصص لدخول وخروج النساء في الطراز الثاني ، لسهولة الوصول إلى وحدات الخدمة الموجودة بالصحن .

ونلاحظ أن الوحدات الأرضية المحيطة بالصحن قد كان يتقدمها بائكة معقودة تتقدم تلك الوحدات ويعلوها "المساتريح" في الطابق الأعلى الذي يتضمنه الطراز الثاني .

وهذا التخطيط قد ميز الدار الأندلسية[1] ؛ والذي قلدت عمارته أيضاً تونس فانتشر في ربوعها كما انتشر في المغرب الأقصى حيث أورد الحسن الزان وصفاً مسهباً لتلك الدور خاصة الدور الفارسية[2] ؛ والتي سيتحقق فيها كثير من الأوصاف الأوصاف السابقة مع تميزها بزخارف منفذه بالفسيفساء ، والبلاطات الخزفية ، فضلاً عن استعمال الأعمدة الرخامية والآجرية ، والعقود الخشبية، والقباب في تغطيه بعض وحداتها ؛ كما تغرش أرضياتها بالآجر والفسيفساء[3] ، مثلما كانت عليه الدار الأندلسية[4] وحتى يمكن الحكم على أن الدار الأندلسية هي التي استوحى نظامها المعمار في درنة ، أشير إلى تأثير عناصر تخطيطها الداخلية في الدار التونسية ؛ على الرغم من تشابه الظواهر العامة التي تتحكم في طبيعة الدور وتطبيقاتها المعمارية في المغرب مع مثيلاتها في العالم الإسلامي لخضوعها لنفس القيم الدينية والمعاني الاجتماعية

(1) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص١٢٢ – ١٢٣ .

(2) ليون الأفريقي (الحسن الوزان) ؛ وصف أفريقية ١٠هـ/١٦م ، ترجمة محمد صبحي ومحمد الأخضر ، بيروت ١٩٨٣م ، الطبعة الأولى ص١-٢٣ .

(3) العمري (أحمد بن يحي بن فضل الله) ؛ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . تحقيق مصطفي أبو ضيف أحمد ، المغرب ١٩٨٨م ط١،ص١١٧ .

(4) عبد العزيز سالم : المرجع نفسه ص١٢٢.

والأخلاقية ولعل الاختلاف في التفاصيل هو الذي يجعلنا نشير إلى التميز المحلي ، أو التأثر الفني .

فلقد تشابهت بيوت درنة في الكثير من تفاصيلها مع دور الأندلس والمغرب ؛ وتونس ؛ وذلك في طرازها المعماري وعناصر عمارتها الخارجية والتي وضح بها التأثر بالدار الأندلسية ولو طبقنا العناصر الداخلية المحيطة بالصحن في بيوت درنة مع بيوت تونس والمغرب لوجدنا تشابها أيضاً واضحاً مع دور تونس ؛ حيث خططت "دار الحضري" الواقعة بالمدينة القديمة بالقرب من جامع الزيتونة ، ودار الجليلي بذات المدينة، بحيث يُحيط بالصحن حجرات مستطيلة عددها ثلاث في ثلاثة أضلاع ، بعضها يؤدي إلى حجرات داخلية صغيرة تعرف بالقاعة أو المقصورة ، وتعرف في درنة "بالبغلة" يتقدم هذه الحجرة بائكة بعقود حدوية تشرف على الصحن[1] وتمتاز الدور التونسية بأنها ذات صحون عديدة إذ يقع خلف الصحن الأول في دار الحضري صحن آخر يتوسطه فسقية ، وحديقة . فضلاً عن عناصر معمارية أخرى للارتفاق مثل الحمام ، والفرن والمطبخ ، وغير ذلك . وهي في ذلك تتشابه مع دور مصر في العصر العثماني[2] وهنا يظهر العامل الاقتصادي ليشير إلى هذا الفارق الذي يتحكم في مساحة الدار ومفردات عمارتها وزخارفها ؛ فلقد استعملت في دور تونس الأعمدة الرخامية ، والعقود الحدوية ، والأسقف الخشبية النقية ، والأبواب المنقوشة حفراً في الخشب أو المدهونة بطريقة الفرسكو والفساقي فضلاً عن استعمال الأخشاب المنفذة زخارفها بالتخريم في عمل الدراوي والأحجبة للمقاعد والنوافذ وغيرها[3] .

---

(1) Revault (j), Trois demeures bourgeoises du xv au xvIII' Siecle, au Caire d Tunis et a fes L'habitat Traditional Dans les pays musulmans autour de la maditerranee 2-L'Histoire et lemilieu (I.F.A.O) 1990, p 432 – 438.

(2) Revault (j), Et maury (B); palais et maisons du xlv' au xvll' siecle, le Caire (I.F.A.o); 1972, Tome II, p. 70-72، Tome III p. 69.

(3) Revault (j); Trois demeures, p. 437 .

والتي وجد مثيل لها في منازل طرابلس الغرب[1] مما يشير إلى قوة التأثير الأندلسي الواقع على العمارة الإسلامية في تونس[2] وليبيا .

وخلت دور درنة الآن من البلاطات الخزفية أو الرخامية والفاخر التي تتوسط الصحون ، والتي وجدت في دور تونس ، وطرابلس ، والمغرب ؛ والقاهرة واكتفى المعمار بإيجاد بئر ماء في جانب الصحن ؛ وتعريشه من أوراق العنب تظلل الصحن تخرج من أغصان شجرة العنب وهي هنا أيضاً تماثل "دور الأندلس"[3] التي لم يتهيأ لأصحابها قدراً من المال لتنفيذ الفساقي في دورهم . الأمر الذي يُشير إلى بساطة إخراج بيوت درنة في طرازها الأول ، وتماثل الطراز الثاني مع مفردات دور تونس والمغرب ، والأمر مرده إلى العامل الاقتصادي ، أو لضياع بعض عناصر الزخرفة بفعل العوامل الجوية ، وكثرة التعديات بالتغيير والتبديل في عناصر عمارة وزخرفة تلك البيوت غير أن بيوت درنة قد وصفها المستشرق والمؤرخ كورو بأنها " ذات ارتفاع بسيط ومظهر بائس"[4] ؛ وهذا الوصف ينطبق على جل الدور السكنية الذي جاء داخلها عكس خارجها ؛ حيث احتوت نماذج الطراز الثاني على أسقف نقية منفذ عليها زخارف نباتية وهندسية بألوان زيتية وهي الوحيدة الباقية والتي تشير إلى مدى العناية الفائقة بالأسقف ؛ مما نستنتج معه قياساً العناية ببقية العناصر الزخرفية ؛ والتي لم تنتشر إلا في القرن السابع عشر نتيجة

---

(1) توللي (م) عشرة أعوام في طرابلس (١٧٨٣ – ١٧٩٣م) ترجمة عبد الجليل الطاهر . منشورات الجامعة الليبية . بنغازي ، ١٩٦٧م ، ص٩٩.

(2) يمكن تتبع هذا التأثير في جميع العمائر الإسلامية المشيدة بتونس في العصر العثماني ، خاصة عمارة البيوت؛التي صدر عنها مجلدين أنظر عن ذلك :-
(Revault (j-؛ palais demeures) de Tunis ١٦-١٧ SielesN.R.S. Paris ؛(١٩٦٨.
-----Palais et demeures) de Tunis '١٨-١٩ (Siedes ؛paris ،١٩٧١ .

(3) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص١٢٢ .

(4) فرانشيسكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني . تعريب خليفة التليسي . دار الفرجاني طرابلس ، ص١٣٧ .

كثرة أعداد الفنانين بعد ندرتهم في العصر العثماني الأول ٩٥٨-١١٢٣هـ /١٥٥١-١٧١١م[١] ؛ وهو ما تؤكده كثرة البيوت المزخرفة في تونس[٢] ، وطرابلس ، ودرنة متمثلة في أسقفها التي أشرت إليها سلفاً .

الأسقف : (لوحة ٣،١٧-٢٠)

أشرت في مقدمات البحث إلى نوعين من الأسقف أحدهما غشيم وقد ميز نماذج الطراز الأول ؛ والآخر نقي ؛ وقد ميز نماذج الطراز الثاني ؛ وقد جاء عبارة عن براطيم خشبية تحصر بينها مساحات مستطيلة مقسمة زخرفياً إلى " بانوهات " زخرفية تضم أشكال هندسية من نجوم متعددة الأشكال ، مع زخارف نباتية محصورة داخل بانوهات تأثر فيها الفنان بأسلوب الباروك والركوكو الأوربي، الوافد مع العثمانيين الذين خضعت لهم كل الولايات العربية ، ومنها ليبيا .

ومن العرض السابق للبيت العربي بدرنة بطرازيه وما ضمه كل طراز من عناصر معمارية وتخطيطية نسبها البحث إلى التأثر بالبيت الأندلسي ، والذي تأثر به البيت العربي في تونس ؛ تجدر الإشارة إلى التوقيت الذي انتقل فيه هذا التأثير وسببه حتى يمكن تاريخ هذه البيوت العربي .

---

(١) بترورو مانيللي : منازل عربية قديمة بطرابلس ، ترجمة / فؤاد الكعباذي . مجلة آثار العرب ، العدد الثاني ، مصلحة الآثار الليبية،طرابلس ١٩٩١م ، ص١٠.

؛ صلاح البهنسي : التصميمات والعناصر الزخرفية على العمائر الإسلامية الليبية في العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي ، مجلة كلية الآثار ، العدد التاسع ١٩٩٨م ، ص٢٨٧-٣١٣ .

(٢) Revault (j); op cit . لوحات الاسقف العثمانية

وكذلك أنظر عمارة وزخارف دار الجليلي في :-

Achour (M.E) ; Une Famille et a demeure dans la Medina de Tunis (Dar al –jalluli XvIII- XX' Siecles; L'habitat Traditionnel dans les pays Musulmans, autour de la Mediterranee (I . F . A .o), 1990, p581 .

تاريخ البيت العربي بدرنة :

أشارت المراجع التاريخية إلى توافد أعداد كبيرة من الأسر الأندلسية إلى بلاد المغرب والشمال الأفريقي عقب سقوط غرناطة[1] ؛ حيث أستقر عدد كبير من هذه الأسر بمدينة تونس ،وخرج جماعة منهم للحج وعقب عودتهم استقروا في مدينة درنة الساحلية واستوطنوها)[2]

وكان ذلك عقب سقوط غرناطة بقليل أي في بدايات القرن السادس عشر الميلادي ثم حدثت هجرات أندلسية متتالية امتلأت بها بلاد المغرب والشمال الأفريقي عقب إعلان قرار نفي العرب من الأندلس عام ١٠١٨/١٦٠٩م بعد أن فشلت كل الجهود المبذولة لتنصيرهم ، حيث أصدر الملك الأسباني قرارة بنفيهم جميعاً إلى بلاد البربر حيث عادوا إلى الإسلام[3] واستقر آلاف منهم بفاس ، وتلمسان ووهران واغلبهم استقر بتونس ، حيث عمروا قراها الخالية وبلادها بعد أن أذن لهم بذلك داى تونس "عثمان باشا" الذي فرق ضعفاءهم على الناس وأذن لهم أن يعمروا حيث شاءوا فعمروا نحو عشرين بلداً وصارت لهم مدن عظيمة ، وغرسوا الكروم والزيتون ، والبساتين ، ومهدوا الطرقات ، وصاروا يعتبرون من أهل البلاد[4] .

وقد تزايد الطلب على هؤلاء العرب الراحلين من الأندلس لتعمير الكثير من بلاد الشمال الأفريقي ومنها مدينة طرابلس ، التي رأي

---

(1) سقطت غرناطة في أيدي الأسبان ١٤٩٣/٨٩٨م . بخروج آخر ملوك الأندلس أبو عبد الله محمد الغالب بالله واستقراره في فاس حيث شيد بها قصوراً على طراز الأندلس ؛ مثلما فعلت بقية الأسر الأندلسية المهاجرة إلى الشمال الأفريقي .
أنظر : محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م ،ج٧ ، ص٢٧٨-٢٨١ .

(2) روسى(اتورى): ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩١١م؛ ترجمة خليفة التليسى ؛ الدار العربية للكتاب ط٢ ١٩٩١م ص ص٢٧٦-٢٧٧؛ روسو(البارون الفونص): الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتي احتلال فرنسا للجزاءر، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس ط١، ١٩٩٢م ص ص١٠٩-١١٠

(3) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص٣٩٦ ، ٤٠٢ .

(4) المرجع نفسه ، ص٤٠٨ .

حاكمها قاسم باشا[1] ١٠٤٠- ١٠٤٢هـ/١٦٣٠-١٦٣٢م الأندلسي الأصل أن يطلب بنو جلدته من داى تونس عثمان باشا [١٠٤٠ - ١٠٤٧هـ / ١٦٣٠-١٦٣٧م] ليكونوا دعما له في تعمير الموانى والبلاد الليبية خاصة الموانى الواقعة على البحر المتوسط ؛ وليكونوا دعماً له للوصول إلى السلطة[2] .

ومن تلك البلاد الساحلية مدينة درنة ، التي توافد إليها أعداد كبيرة بلغت ثمانمائة في أول الأمر أرسلهم يوسف داى ، حيث استقروا هناك ، وانصرفوا إلى العمل الزراعي فضلاً عن النشاط العمراني الذي تزايد بتزايد أعدادهم ؛ وذلك في النصف الأول من القرن السابع عشر ، وما بعده ؛ وقد وضحت آثارهم فيما عرضه البحث من بيوت عربية أصابها ما أصابها من تغيير وتجديد ، لكن ما بقي كان دليلاً على وضوح التأثر بالأساليب الأندلسية ؛ وأن تلك المباني تعود إلى القرن السابع عشر الميلادي ؛ وبعد أن تصاهر هؤلاء الأندلسيون مع الليبيين ، تنامت الأعداد وغدت درنة أندلسية في الكثير من مناحي الحياة ، فوجدنا عائلات أندلسية مثل أسرة " عزوز " وأسرة المؤدب ، وأسرة "الأمام" ، وأسرة " زيتون " ، وأسرة "الشواعر "، وظلت درنة بقيادة الأسر الأندلسية صاحبة النفوذ حتى دخلت في طاعة الوالي العثماني حاكم طرابلس عثمان باشا الساقزلى ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م - ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م[3] وبعد أن تكامل عمران المدينة ، من تخطيط لاحيائها وتوزيع لعمائرها ، التي منها ما خدم الناحية الدينية والأخرى التي خدمته الناحية المدنية ، ومنها هذه البيوت العربية ، التي وضح بها تأثيرهم ؛ والتي يمكن أن ترجعها إلى القرن السابع عشر الميلادي أما النماذج الأخرى التي وضح بها استعمال الأسقف النقية ذات الزخارف النباتية المنفذة داخل "بانوهات" بالألوان الزيتية فهي تعود إلى

(١) كوستانزيوبرنيا : طرابلس من ١٥١٠-١٨٥٠م ، ترجمة/ خليفة التليسي . الدار الجماهيرية للنشر ، طرابلس ١٩٨٥م ، ص٣٦ ، ١١٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص١٢٧ .
(٣) المرجع نفسه ، ص٣١٢ .

مرحلة متأخرة في مطلع القرن التاسع عشر والتي نفذت في ظل الحكم القرمانلى(١٧١١-١٨٣٥م) .

والخلاصة ، فقد كان لدراسة هذا الموضوع نتائج عديدة أهمها في الآتي :-

- أماكن حصر بيوت درنة وتصنيفها إلى طرازين يتدرج تحت كل طراز مجموعة من النماذج .
- وضح بالطرازين عناصر معمارية وتخطيطية هي في مجملها أندلسية الأصل .
- أمكن نسبة هذا التأثير إلى العرب الوافدين من الأندلس بعد قرار النفي في أوائل القرن السابع عشر الميلادي .
- امتازت بيوت درنة - وفق حالتها الحالية ببساطتها وقلة عناصر الزخرفة أو انعدامها .
- استعملت مواد من الطبيعة لتنفيذ تلك البيوت مثل الحجر الجيري للبناء وأعواد الغاب ، للتسقيف .
- خلت صحون البيوت في درنة من "النافورة" واستعيض عنها "ببئر ماء" مثلما وجُد في نماذج أندلسية تحكمت الناحية الاقتصادية في إخراجها على هذا النحو .
- كان للبيت العربي في درنة عناصر معمارية مميزة مثل "المربوعة" التي تقابل "السلاملك" التركي في بيوت العصر العثماني بمصر والولايات العربية الأخرى .
- أمكن الوقوف على عدة مصطلحات لعناصر معمارية داخلية في بيوت درنة لم نجدها في عمائر الأندلس المدنية مثل "البغلة" ؛ "السدة" ، السقيفة .
- وجدت عناصر خدميه للدواب مثل "المربط" والذي وضع أسفل "المربوعة" ؛ مما يعني أن المربوعة جاءت أكثر ارتفاعاً من بقية عناصر البيت الأخرى.

قائمة المصادر والمراجـــع :

- **العمري [أحمد بن يحيي بن فضل الله]:**

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : مصطفي أبـو ضيـف أحمد المغربي ١٩٨٨م .

- **بيترورو مانيللي :**

منازل عربية قديمة بطرابلس ، ترجمة : فؤاد الكعباذي ، مجلة آثـار العرب ، العدد الثاني ، مصلحة الآثـار الليبيـة طرابلـس ، مـارس ١٩٩١م .

- **توللى (م) :**

عشرة أعوام في طرابلس ١٧٨٣-١٧٩٣م ، ترجمة : عبـد الجليـل الطاهر ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ١٩٦٧م .

- **حسام عبد السلام باشا إمام :**

مواد البناء والأنظمة الإنشائية في المباني التقليدية .

http// www. Libyan heritage . Com. Building materials. Html. P. 2.

- **حسن الباشا :**

مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ١٩٩٠م .

- **حسين مؤنس :**

المساجد ، سلسلة عالم المعرفة عدد ٣٧ ، ١٩٨١م .

- **حسنى نويصر :**

الآثار الإسلامية في مصر(عمائر الأيوبيـن والممـاليك) ، القـاهرة ١٩٩٦م

-روسو(البارون الفونص):

الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتي احتلال فرنسا للجزائر،ترجمـة محمد عبد الكريم الوافي،منشورات جامعة قاريونس ط١، ١٩٩٢م

-روسي(انورى):

ليبيـا منـذ الفتـح العربـى حتـى سـنة ١٩١١م،ترجمـة خليفـة التليسي،الدار العربية للكتاب ط٢، ١٩٩١م

- **السيد عبد العزيز سالم :**
العمارة المدنية بالأندلس ، دار معارف الشعب . عـدد ٦٤ ، مطـابع الشعب ١٩٥٩م .
- **صالح مصطفي المزيني :**
ليبيا منذ الفتح العربي وحتى انتقال الخلافة الفاطميـة إلـى مصـر ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ١٩٩٤م .
- **صلاح البهسني :**
- طرابلـس الغـرب تـاريخ وآثـار ، المنـهل ، العدد ٥١٩ ، المجلد ٥٦ ، ١٩٩٤م .
- التصميمات والعناصر الزخرفية على العمائر الإسلامية الليبية في العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي ، مجلـة كليـة الآثار ، العدد التاسع ، ١٩٩٨م
-**عبد العاطي محمد الورفلي :**
- أوراق أندلسية ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ١٩٩٠م .
- **عبد العزيز الدولاتي :**
- مسجد قرطبة وقصر الحمراء ، منشورات الدار العربية للكتاب بليبيا ، تونس ١٩٧٧ .
-**عبد العزيز شـرف طريـح :** جغرافيـة ليبيـا ، مركـز الإسـكندرية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م .
-**عبد العزيز لمرج :** المسـكن المغربـي الإسـلامي فـي العصـريـن المزينـي والزيـاني مـن خـلال النصـوص التاريخيـة والشـواهد الأثرية ، دراسـات فـي آثـار الوطـن العربـي ، كتـاب المؤتمـر الرابع ، الندوة الثالثة ، القاهرة ٢٠٠١م .
-**عبد النعيم حسـنين :** قـاموس الفارسـية ، دار الكتـاب اللبنـاني ، ط١ ، بيروت ١٩٨٢م .
-**على مسعود البلـوش :** تطـور الأسـلوب الزخرفـي فـي معمـار المسجد الليبي ، موسـوعة الآثـار الإسـلامية فـي ليبيـا ، الجـزء الثاني .

- **فرانشيسكو كورو :** ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، ترجمة : خليفة التليسي ، دار الفرجاني طرابلس .
- **كريزول (ك. أ. س) :** العمارة الإسلامية في مصر ، المجلد الأول (الاخشيديون والفاطميون) ٩٣٩-١١٧١م ، ترجمة : عبد الوهاب علوب ، زهراء الشرق ٢٠٠٤م .
- **كوستا نزيوبرنيا :** طرابلس من ١٥١٠-١٨٥٠ ، ترجمة : خليفة التليسي ، الدار الجماهيرية للنشر ١٩٨٥م .
- **ليون الأفريقي [الحسن الوزان]** وصف أفريقية ١٠هـ/١٦م ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ١٩٨٣م .
- **مجدي عبد العزيز :** دراسة تحليلية لبعض الدور والقصور ، رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة ١٩٧٤م .
- **محمد الجهيني :-** جامع رشيد باشا بدرنة العمارة وأصول التخطيط ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، العدد الثالث والعشرون ، الجزء الأول ، مارس ٢٠٠٠م .

  - مساجد درنة وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ، كتاب الملتقي الثاني لجمعية الآثاريين العرب ، الندوة العلمية الأولى ١٩٩٩م .
- **محمد عبد الستار عثمان :**

المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢٨ ، سنة ١٩٨٨م .
- **محمد عبد الله عنان :**

دولة الإسلام في الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١م الجزء٧ .
- **محمد محمود محمدين :**

دور البيئة الجغرافية في صوغ أنماط العمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية الدارة ، العدد الثاني ، السنة ٢٢ ، ١٤١٧هـ .

المراجـــع الأجنبية :

- Achour (M. E);
Une Famille et sa demeure dans la medina de Tunis (Dar al jallili XVIII-XX'Siecles‹L'habitat Traditionnl dans les pays musulmans autour de la Mediterranee (I.F.A.o), 1990 .
- Bloom (j);
The origins of fatimid Art, Mupornas, an annual on Islamic Art and Architecture, Volume 3. Leiden, 1985
- Hillenbrand (R);
Islamic Architecture form‹ function‹ and meming . Edinburgh University, 1994 .
-Revault (j)
Palais et demeures deTunis (16-17' Siceles(N. R. S) 1968 ------ Palais et demeures de Tunis (18-19' Siecles' paris 1971 .
- Revault (J)et moury (B) ;
Palais et maisons du xx' av xvll' Siecle, le Caire(I·F·A·O). 1972 Tome [1‹ 2] .
- Revault (j) ;
Trois demeures bourgeoises duXV' au XVII' Siecle, ou Caire d Tunis et a'fes, .L'habitat Traditiannel dans les bays musulmans a Tour de la Mediterranee 2-L'histoire et lemilieu (I. F A. O), 1990 .

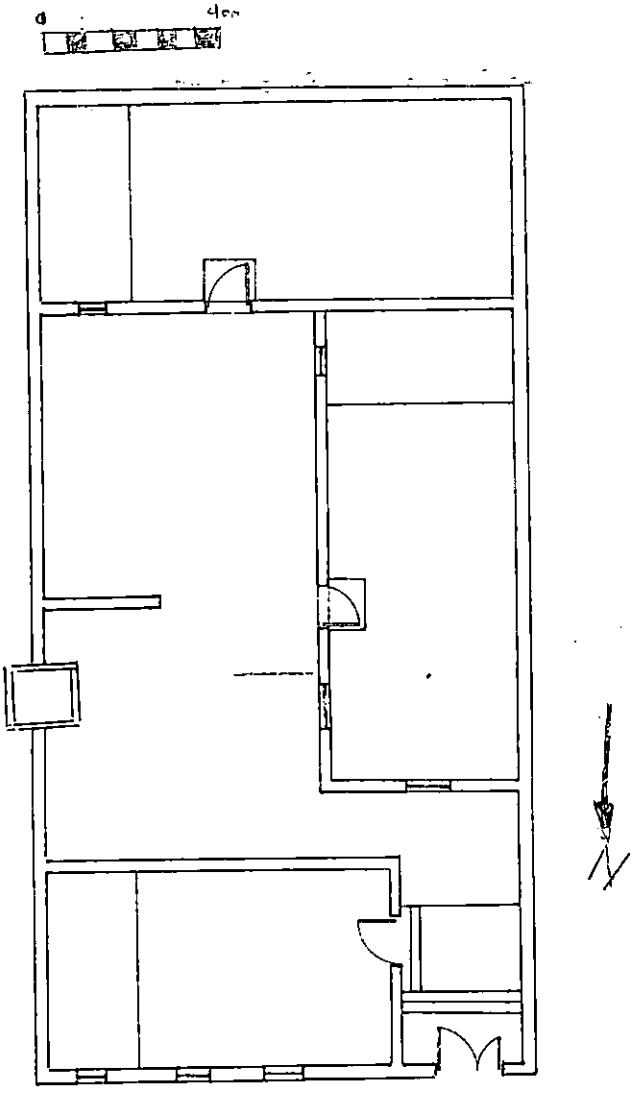

شكل (١) مسقط افقى لبيت بوجميلة بمدينة درنة

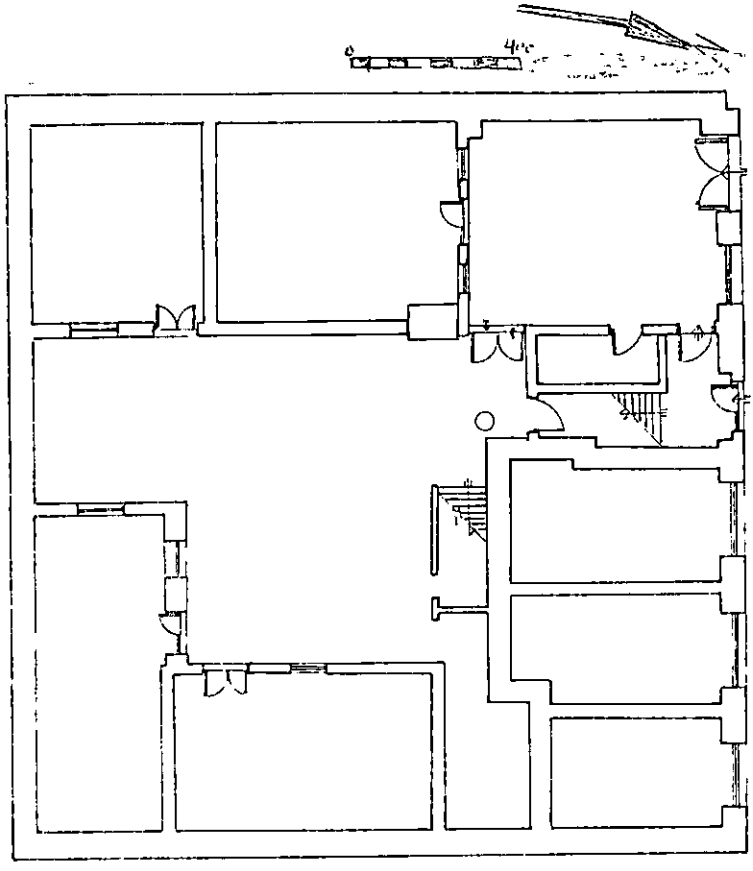

شكل (٢) مسقط افقى لبيت التاجورى بمدينة درنة

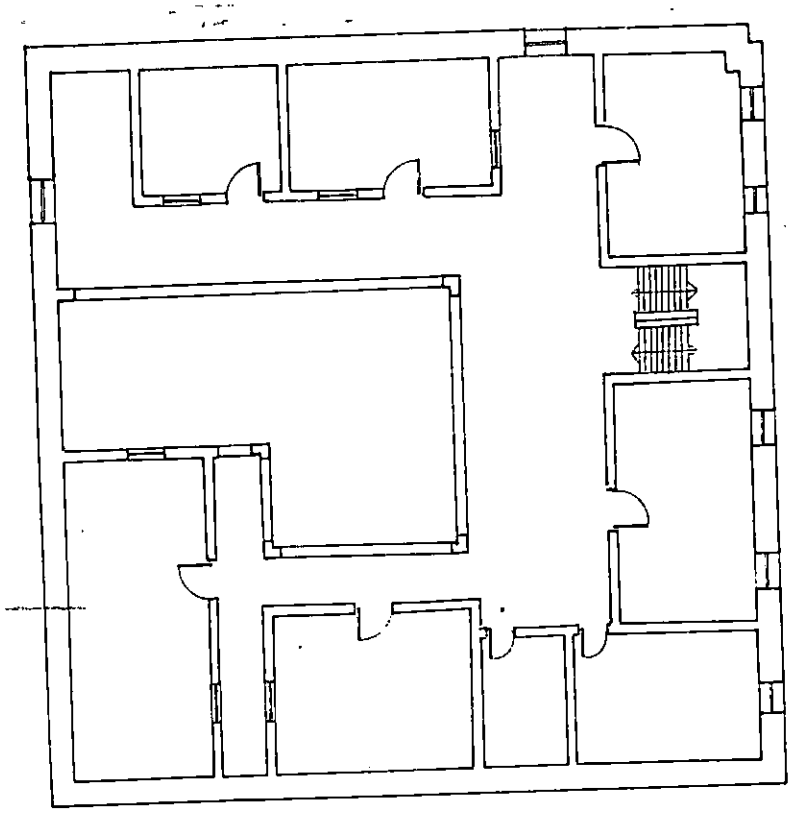

شكل (٣) مسقط افقى للدور الأول لبيت التاجورى بمدينة درنة

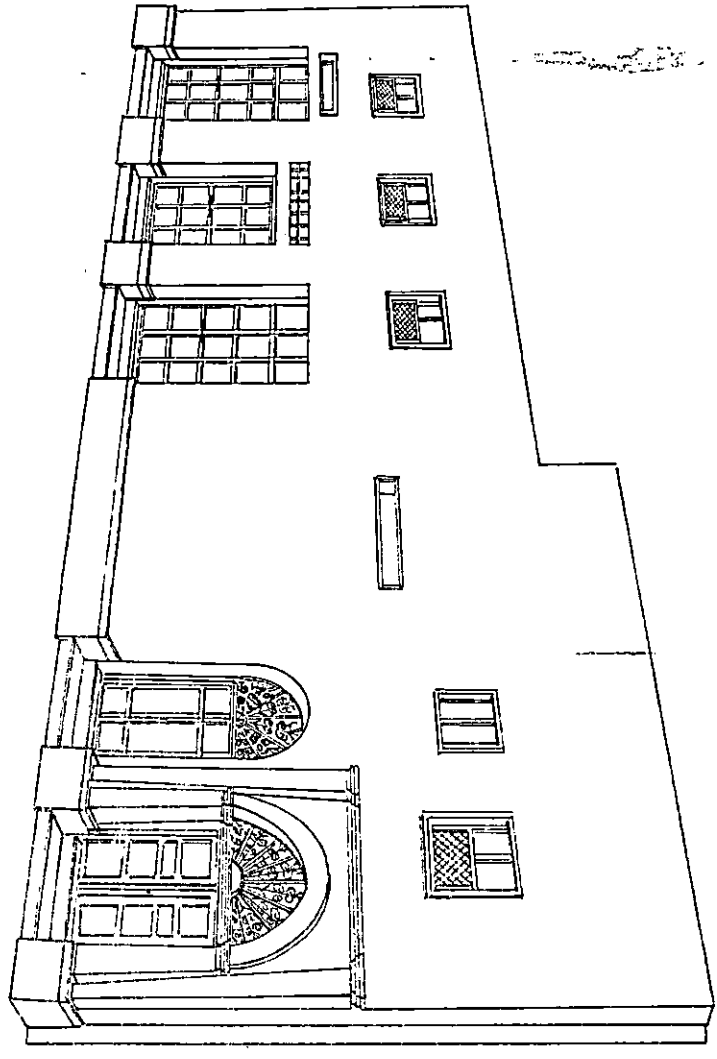

شكل (٤) واجهة بيت التاجورى بمدينة درنة

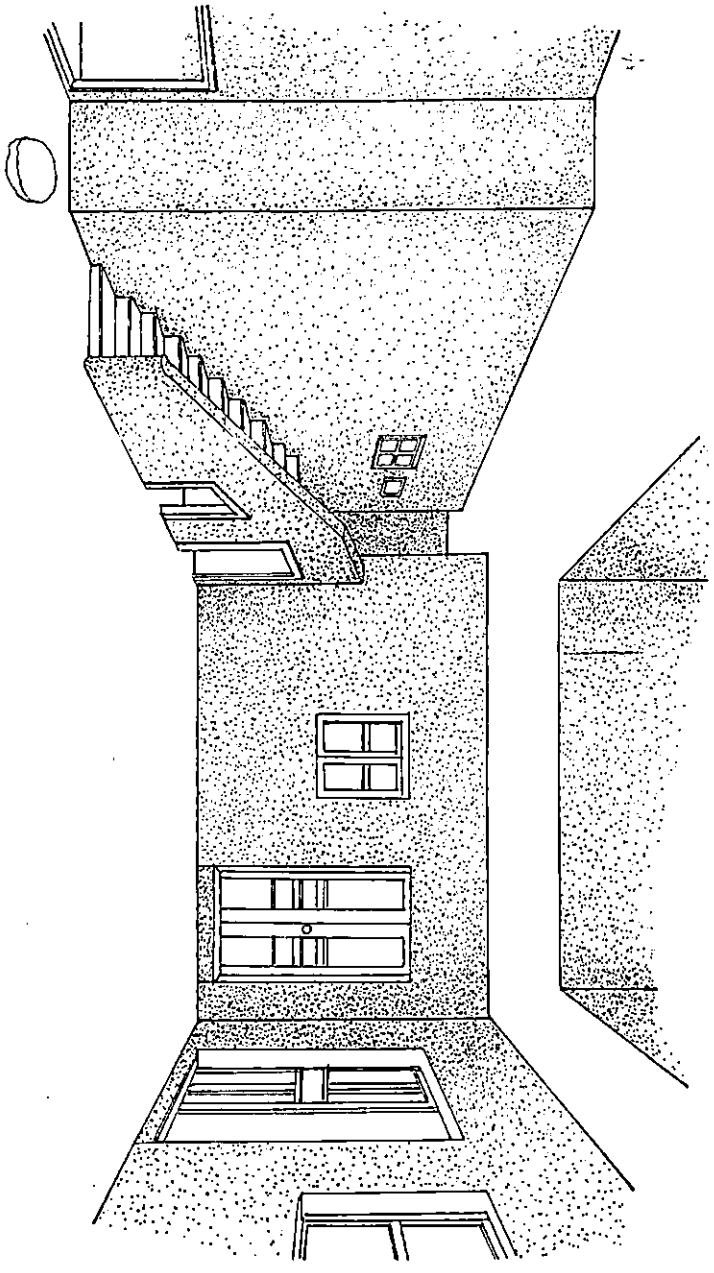

شكل (٥) منظور داخل بيت التاجوري بدرنة

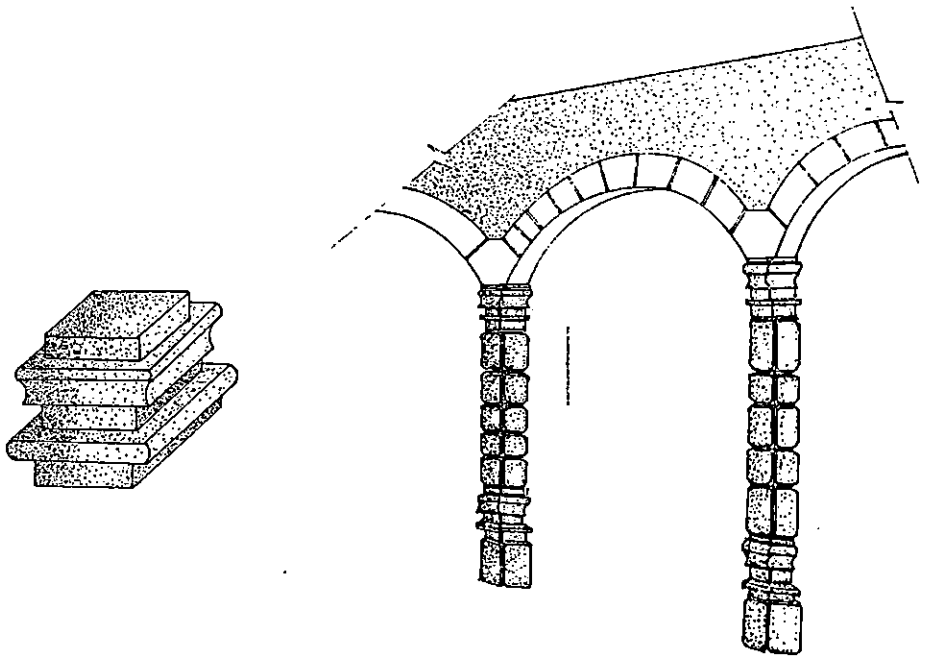

شكل (٦) منظور لبائكة تتقدم الحجرات المحيطة بصحن بيت عبد الكريم جبريل بمدينة درنة

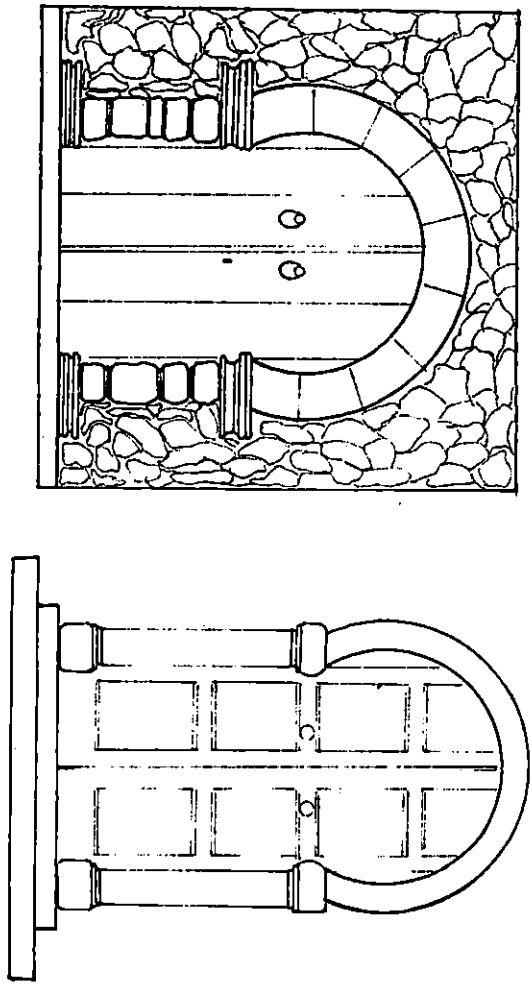

شكل (٧) اشكال العقد الحدوى ببيوت درنة

اللوحـــــــات

لوحة (١) الباب الخارجى لبيت بوجميلة بدرنة

لوحة (٢) المدخل الوحيد إلى المزرعة بيت بو جميلة بدرنة

لوحة (٣) سقف المزرعة بيت بو جميلة بدرنة

لوحة (٤) البغلة فى حجرة المربوعة ببيت بو جميلة بدرنة

لوحة (٥) السرة بحجرة المربوعة ببيت بوجميلة بدرنة

لوحة (٦) المدخل المؤدى الى إحدى الحجرات المحيطة بالصحن ببيت بو جميلة

لوحة (٧) منظر عام للحجرات المحيطة بالصحن ببيت بوجميلة بدرنة

لوحة (٨) بئر ماء بصحن بوجميلة بدرنة

لوحة (٩) عقد يتوج البئر بصحن بيت بو جميلة

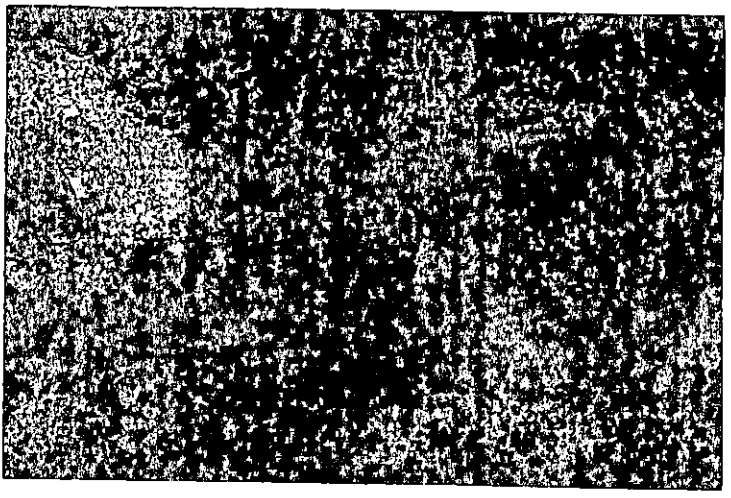

لوحة (١٠) جانب من الصحن ببيت بوجميلة بدرنة

لوحة (١١)داخل إحدى الحجرات المحيطة بصحن بيت بو جميلة بدرنة

لوحة (١٢) واجهة بيت التاجوري بدرنة

لوحة (١٣) المدخل المؤدى الى داخل بيت التاجوري بدرنة

لوحة (١٤) المدخل المؤدى الى صحن بيت التاجورى بدرنة

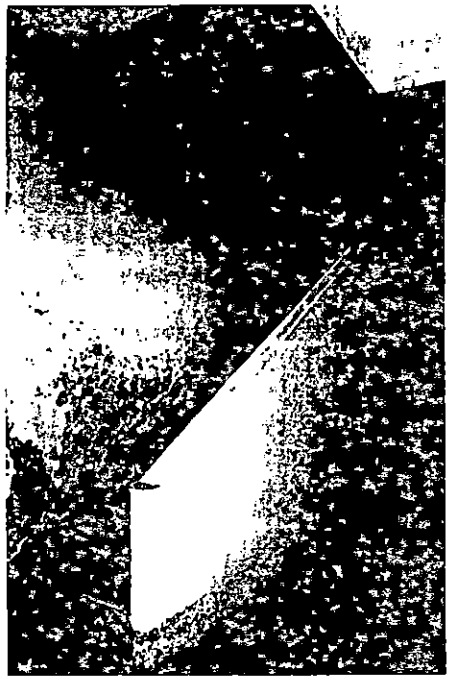

لوحة (١٥) السلم المؤدى الى المطبخ ببيت التاجورى

لوحة (١٦) المساتريح ببيت التاجورى بدرنة

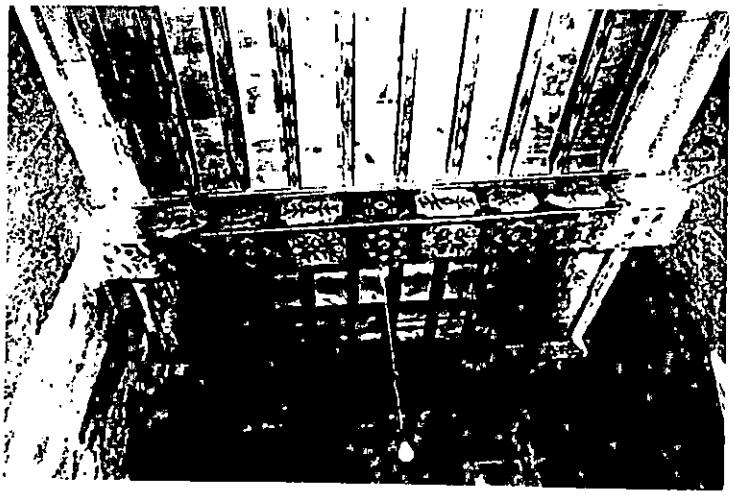

لوحة (١٧) جانب آخر لسقف بيت التاجورى بدرنة

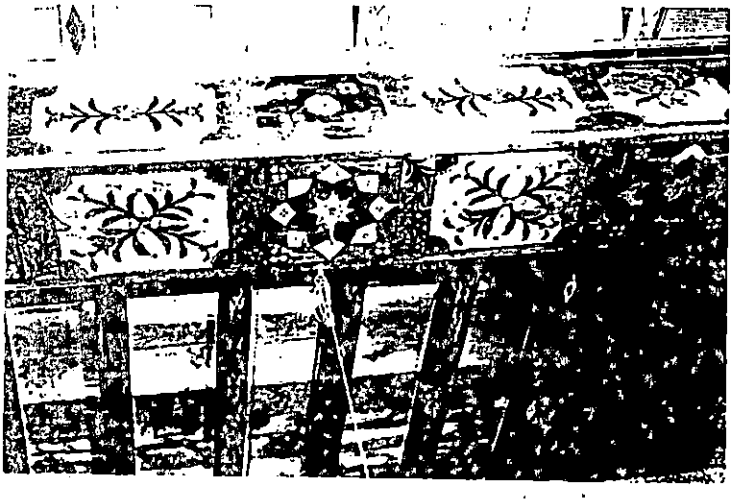

لوحة (١٨) جانب لزخارف سقف ببيت التاجورى بدرنة

لوحة (١٩) سقف نقى ببيت التاجورى بدرنة

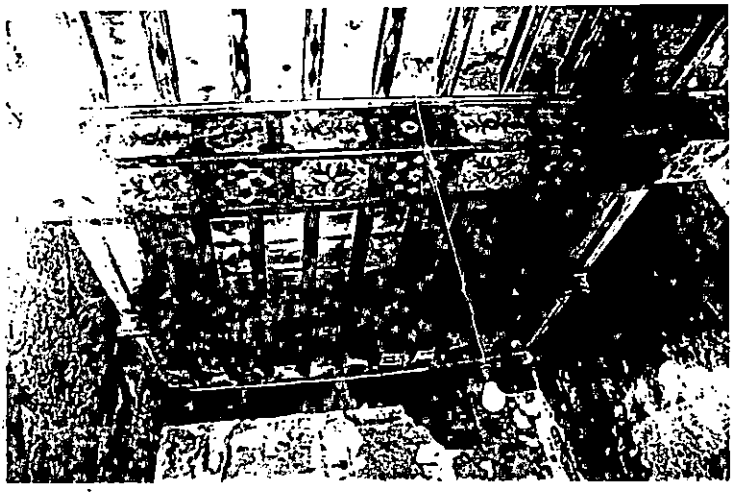

لوحة (٢٠) جانب من سقف المربوعة ببيت التاجورى بدرنة